

سيرورة اتخاذ القرار الدراسي لدى التلميذ الجزائري بين التنظير والممارسة

آمال بنين (طالبة دكتوراه)

مخبر علم النفس وجودة الحياة

جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

أ.د. ترزولت (عمروني) حورية

مخبر علم النفس وجودة الحياة

جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى إبراز عملية الاختيار الدراسي باعتبارها عملية اتخاذ قرار من خلال توضيح سيرورة تلك العملية وفق الأسلوب العقلاني الذي يتضمن سلسلة من الخطوات المنطقية المتتابعة بدءا بتشخيص المشكلة وتحديد الأهداف إلى غاية تنفيذ القرار ومتابعة نتائجه.

واستنادا إلى بعض المعطيات الميدانية ، يبين المقال أن الاختيارات الدراسية للتلاميذ تعبر غالبا عن رغبات آنية غير مدروسة ، تترجم غياب المشروع الدراسي والمهني لدى شريحة واسعة من المتعلمين .

الكلمات المفتاحية : اتخاذ القرار الدراسي - الأسلوب العقلاني - المشروع الدراسي والمهني.

Résumé:

L'objectif de cet article est de mettre en évidence l'opération de choix scolaire comme procédé de prise de décision à fin d'éclaircir son processus selon le style rationnel qui inclut quelques étapes successives qui débutent par le diagnostic de problème et la détermination de buts jusqu'à l'exécution de décision et le suivi des résultats.

Basé sur quelques données de terrain ;l'article montre que les choix scolaires des élèves expriment souvent de désires temporaires pas réfléchis traduit l'absence de projets scolaires et professionnels chez une large tranche d'éciliers.

Mots clés: prise de décision scolaire; le style rationnel; le projet scolaire et professionnel.

تمهيد:

منذ ظهور التوجيه المدرسي والمهني وتبلوره كخدمة تقنية متخصصة ، وعملية اختيار التلاميذ والطلاب لمساراتهم الدراسية والمهنية تستقطب اهتمام العديد من العلماء والباحثين الذين اختلفت رؤيتهم لتلك العملية تبعا لاختلاف التصورات النظرية التي انطلقوا منها ففي الوقت الذي نجد فيه سوير - مثلا - يعتقد أن الاختيار الدراسي ما هو إلا صورة للذات ، يرى آخرون أنه تعبير عن الشخصية ، بينما ينظر البعض إلى الاختيار باعتباره نتاجا لخبرات الطفولة المبكرة فيما يتبنى قسم آخر فكرة مؤداها أن عملية الاختيار ما هي إلا مفاضلة بين البدائل المتاحة سواء كانت دراسية أو مهنية ، وهو ما يفترض أن تكون هذه العملية عقلانية رشيدة تسير وفق خطوات منطقية متتابعة للوصول إلى القرار الصحيح.

في هذا السياق تدرج هذه الورقة البحثية التي نحاول من خلالها تسليط الضوء على الاختيار الدراسي باعتباره عملية اتخاذ قرار، فنتطرق بداية إلى مفهوم اتخاذ القرار وعناصره وكذا الاختيار على أساس مشروع ، ثم نتناول

الأسلوب العقلاني في اتخاذ القرار الدراسي من حيث تعريفه ومراحله ، لنصل في الأخير إلى تقييم واقع سيرورة اتخاذ القرار الدراسي لدى التلميذ الجزائري انطلاقاً من بعض المعطيات الميدانية.

1- تعريف اتخاذ القرار: تعد عملية اتخاذ القرار من أهم العمليات النفسية التي يقوم بها الإنسان في المواقف المختلفة حلاً للمشكلات وتخطيطاً للمستقبل، سواء كان ذلك بشكل فردي أو بمشاركة الآخرين، وكثيراً ما يتوقف مدى نجاح الفرد في أعماله على نوعية القرارات التي يتخذها .

و القرار - كما يشير عبد الجواد بكر - هو تلك : "العملية العقلية الذهنية أو التفكير الهادئ الواعي الذي ينصب على عملية تقويم البدائل و اختيار أفضلها"¹

أما اتخاذ القرار فيعرفه " كبية " بأنه : "اختيار من بين بدائل يمكن تنفيذها من أجل تحقيق أهداف منشودة"² في حين يرى برنارد Bernhard أنه التصرف أو السلوك الذي يأتي نتيجة التدبير والحساب و التفكير، أي أن اتخاذ القرار عمل شعوري متعمد و مقصود³

ويشير الطائي (2001) إلى اتخاذ القرار باعتباره " عملية حسم لموقف مشكل يعتمد على الوظيفة العقلية ، أي أنها عملية معرفية تنطوي على سلسلة من الفعاليات العقلية كالانتباه والإدراك والمبادأة من أجل تحقيق الهدف المطلوب بعد التعريف بالبدائل المطلوب بشأن وروية."⁴

وواضح أن التعريفات السابقة - وإن اختلفت صياغاتها- تتفق على أن اتخاذ القرار يشير إلى تلك العملية الفكرية الواعية التي يتم بمقتضاها الاختيار من بين عدة بدائل بقصد تحقيق هدف معين أو مجموعة أهداف ، كما تلنقي تلك التعريفات حول معظم عناصر القرار والمتمثلة في:

• **الهدف:** لا يتخذ القرار إلا إذا كان هناك هدف معين يسعى الفرد لتحقيقه ، وتعتمد أهمية القرار على درجة أهمية الهدف الذي كلما كان واضحاً كلما ساعد ذلك على اتخاذ القرار السليم .

• **تعدد البدائل:** و البديل هو الحل الذي يتم اختياره لحل المشكلة أو تحقيق الهدف وهو ما يشترط ضمناً وجود بديلين متميزين على الأقل تتم المفاضلة بينهما، ويعتبر هذا العنصر جوهر عملية اتخاذ القرار، إذ بدون وجود بدائل فلن يكون هناك اختيار، وكون البدائل متميزة بمعنى أن تؤدي إلى نتائج مختلفة.

• **التنبؤ:** و يتعلق بتقدير ما سيحدث في المستقبل في حالة اتخاذ قرار معين، ذلك أن معظم القرارات تتعامل مع المستقبل واتجاهاته و المتغيرات المحتملة و انعكاساتها.⁵

• **الموقف:** فعملية اتخاذ القرار تتأثر بالموقف الذي يتخذ في ظلّه القرار والجو النفسي والاجتماعي الذي يحيط به وهو ما يعرف ببيئة القرار، والتي يمكن أن تلعب دوراً سلبياً بإرغام الفرد على اختيار ظرفي متسرع ، كما يمكن أن تمارس فعلاً إيجابياً بتشجيع الفرد على اتخاذ قرار مدروس ومتأن .

2- الاختيار الدراسي كعملية اتخاذ قرار: تعتبر عملية الاختيار الدراسي في جوهرها عملية اتخاذ قرار يتم من خلالها المفاضلة بين بديلين أو أكثر في مجال الشعب الدراسية ، الفروع الجامعية أو المجال المهني بشكل عام وبيني التلميذ اختياره استناداً إلى جملة تصورات تتعلق خاصة بالفروع الجامعية والفرص المهنية الموجودة فعلاً أو التي يتوقع استحداثها مستقبلاً، وهو ما يؤكدّه ألبو Albau (1982) الذي يرى أن الاختيار هو: "الانضمام الحر بكل رضا وبمعرفة الأسباب أي الأخذ بعين الاعتبار إمكانيات الشخص ، معطيات العمل والسياق الاقتصادي والاجتماعي."⁶

ويتضح أن ألبو Albau يشترط توفير الحرية والرضا للفرد أثناء اتخاذ قراره ، إذ لا معنى للاختيار في غياب "الحرية" كما تربط اسماعيلي (2006) بين عملية اتخاذ القرار المتعلق بالدراسة أو المهنة وبين المشروع الشخصي للتلميذ باعتبار أن الاختيار: " يقصد به أخذ قرار نهائي يحدد فيه التلميذ مستقبله المهني أو الدراسي يترجم في النهاية إلى سلوكيات أو أفعال أو مجهودات يحقق من خلالها مشروعه الشخصي"⁷ ، فالاختيار الصحيح حسب التعريف السابق

ينبغي أن يتم على أساس مشروع شخصي للتلميذ يرسمه بنفسه ليعبر من خلاله عن طموحاته وأهدافه ، ويبذل في سبيل تحقيقه جهداً فكرياً وسلوكياً .

3- الاختيار على أساس مشروع : لقد أصبح مفهوم " المشروع " أحد أبرز المفاهيم التي تركز على اعتبار عملية الاختيار عملية واعية مبنية على تخطيط محكم وإعداد جيد وليست مجرد عملية آلية تحكمها الصدفة أو المحاولة والخطأ، وهو ما ذهب إليه أوتو Huteau حين عرف المشروع بأنه : "عبارة عن خطة يعتمد عليها الشخص لتحقيق مقاصد وأغراض محددة عن طريق توقعها ، وتوفير الوسائل اللازمة لبلوغها"⁸.

فالإلى جانب التفكير والتخطيط المسبق بوضع خطة زمنية تتضمن أهدافاً مستقبلية يؤكد أوتو Huteau في التعريف السابق على ضرورة توفير بعض الوسائل لضمان تحقيق ونجاح المشاريع الدراسية والمهنية للأفراد .

ضمن نفس السياق يرى بوتيني Boutinet⁹ أن فعل المشروع يحدث أولاً على مستوى التوقع ، و يتضمن ذلك تحليل الوضعية الراهنة واستكشاف الخيارات والفرص المتاحة لتجسيد المشروع ، لينتقل الفرد بعدها إلى مستوى التحقيق والانجاز من خلال تخطيط مراحل المشروع وإعداد الوسائل والإجراءات اللازمة لتنفيذه مع التحكم في أبعاده الزمنية.

أما القاضي وزملاؤه (1981)¹⁰ فيعرفون المشروع بأنه إستراتيجية مستقبلية هدفها الوصول بالتلميذ إلى أخذ قرار في نهاية المطاف بنفسه مع مراعاة حدود إمكانياته العقلية والانفعالية... وهو عبارة عن تربية للاختيارات ، الغاية منها جعل التلميذ محور اتخاذ القرار بعد فترة زمنية ممتدة تلقى فيها إعلاماً كافياً عن التخصصات والمهن وما يتطلبه كل نوع من الدراسة من إمكانيات وقدرات وميول .

لقد ركز التعريف السابق على ضرورة تمكين التلميذ من أخذ قراره بنفسه ، بعد توفير جميع الظروف والإمكانيات التي تساعد على اتخاذ القرار المناسب من معلومات ومعارف ... على مدى فترة زمنية كافية ، وهو يؤكد هنا على ضرورة التدخل المبكر لمختصي التوجيه المدرسي والمهني من خلال برامج تربية الاختيارات وعلى هذا الأساس يتبين أن اتخاذ التلميذ لقراره الدراسي وفق مشروع شخصي وتصورات مستقبلية مهيكلة ومعدة مسبقاً ، يتجاوز النظرة الضيقة والعاجلة التي تميز الاختيار، هذا الأخير الذي يعبر غالباً عن سلوك آني غير مدروس ، لا يعتمد على تحليل مختلف البدائل المطروحة و محدد في كثير من الأحيان بالعديد من التأثيرات الداخلية والخارجية .

4- الأسلوب العقلاني في اتخاذ القرار الدراسي: تتعدد الأساليب التي يتبعها الأفراد عند اتخاذ قراراتهم - حسب (Harren 1978) - ما بين الأسلوب العقلاني Rationnel، الحدسي Intuitif، المعتمد (التابع) Dépendent ، ويتجسد الأسلوب العقلاني في اتخاذ القرار الدراسي والمهني في صورة : "متخذ قرار مثالي" الذي هو كما يقول حجازي(2002): "عبارة عن نموذج نظري يتجسد في شخصية فرد قادر على اتخاذ قرار واقعي ملائم لقدراته ورغباته وللمهن المختلفة ، قرار مبني على معلومات ملائمة في وقت كاف لدراسة المعطيات وإعطاء القرار، وبدون صراعات كبيرة قد تؤثر على قراراته"¹¹

لذلك يمكن اعتبار القدرة على اتخاذ القرار عملية عقلية معقدة تتطلب الكثير من القدرات الفرعية أهمها :

- * القدرة على تحديد المشكلة تحديداً دقيقاً .
- * القدرة على تحديد الأهداف التي يسعى إليها من خلال نتائج القرار .
- * القدرة على تحديد البدائل بدقة ، أو اكتشاف بدائل جديدة .
- * القدرة على الموازنة والمقارنة بين البدائل حسب قيمتها ، أهميتها ، نتائجها .
- * المبادرة والجرأة في الإقدام على انتقاء أحد البدائل بعد تقييمها .

* القدرة على تنفيذ ما اتخذ من قرار ومتابعته وتحمل نتائجه .

* القدرة على التحرر من الضغوطات الذاتية والخارجية قدر الإمكان .

* القدرة على المشاركة في اتخاذ القرارات الجماعية ¹².

وهكذا يتبين أن عملية الاختيار هي قدرة عامة مكونة من عدد من القدرات والمهارات التي تتضافر وتتكامل لتساعد الفرد على الوصول إلى القرار الملائم ، علما أن القدرات المذكورة آنفا تتطلب التدريب والممارسة المستمرة من خلال عمليتي التربية والتنشئة الاجتماعية .

5- سيرورة عملية اتخاذ القرار الدراسي: إن عملية اتخاذ القرار هي السيرورة التي يحتفظ بموجبها الفرد بخيار من بين عدة خيارات لذلك تعتبر عملية عقلية مركبة تمر بعدة خطوات متتابعة قبل الوصول إلى نتيجة محددة ، وقد اختلف المنظرون في هذا المجال حول عدد وطبيعة تلك المراحل ، حيث يرى هربرت سيمون Harpert Simon إلى أن عملية اتخاذ القرارات تمر بثلاث مراحل هي :

* مرحلة البحث والاستطلاع : وفيها يتم اكتشاف ضرورة الحاجة إلى اتخاذ القرار.

* مرحلة التصميم : وفيها يتم البحث عن البدائل المختلفة .

* مرحلة الاختيار: وفيها يتم اختيار أفضل البدائل المعروضة ¹³

في حين يؤكد نيومان Newman ووارين Warreen أن صناعة القرار الرشيد تتطلب أربع خطوات هي : التشخيص ، البحث ، العرض والاختيار. ¹⁴

أما شربل فيذهب إلى أن اتخاذ القرار يمر بخمس مراحل تتمثل في : تشخيص المشكلة ، جمع البيانات والمعلومات ، تحديد البدائل المتاحة وتقويمها ، اختيار البديل المناسب ، ومتابعة القرار وتقويمه. ¹⁵

كما وضع جيلت Gillet تصورا نظريا متكاملا قدم فيه تحليلا مفصلا يوضح مراحل عملية اتخاذ القرار المهني التي تتمثل في :

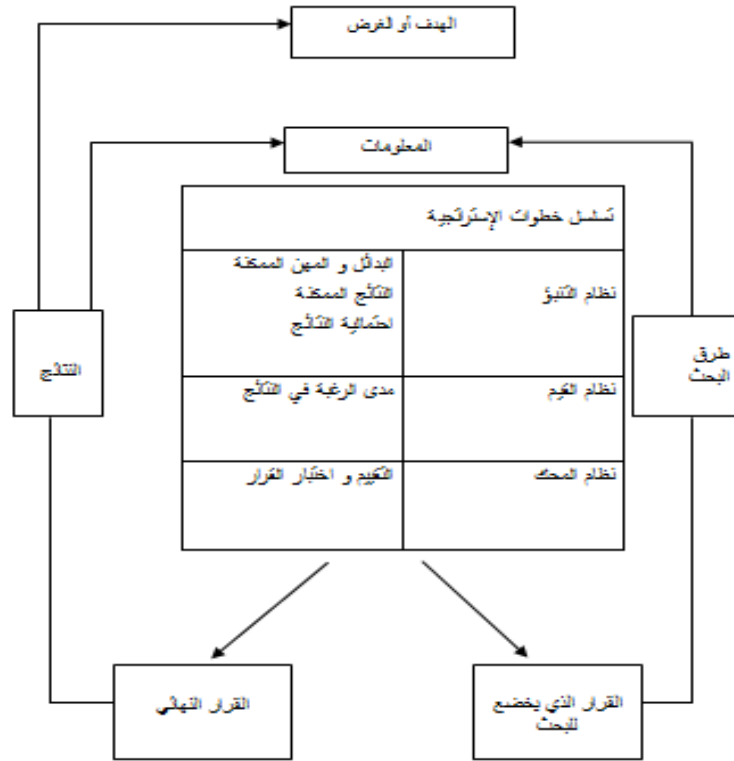
* تحديد الغرض أو الهدف المراد تحقيقه .

* جمع المعلومات والبيانات ذات الصلة بالموضوع .

* وضع البدائل الممكنة والتنبؤ بالنتائج الممكنة واحتمالية تحقيقها (نظام التنبؤ) ¹⁶ ، والشكل التالي يوضح سيرورة

اتخاذ القرار المهني عند جيلت :

شكل رقم (01)

يوضح سيرورة اتخاذ القرار المهني عند جيلات¹⁷

وعلى ضوء التقسيمات السابقة لمراحل اتخاذ القرار التي تراوحت بين التفصيل والإجمال يمكن القول أن سيرورة اتخاذ القرار الدراسي والمهني تتضمن أربع مراحل أساسية على النحو التالي :

5-1- مرحلة التشخيص والتخطيط : يعد تشخيص المشكلة أمراً ضرورياً من أجل توضيح الأبعاد الرئيسية للموضوع والوقوف على أسبابه ، ويهيئ التشخيص للبحث عن بدائل الحل ، إذ يدرك الفرد بأن هناك حاجة لاتخاذ القرار، ويعمل على تطوير استراتيجيات للوصول إلى الأهداف التي سطرها سواء كانت قريبة أو بعيدة المدى.

ويتطلب التخطيط تحديد الأهداف العامة والأهداف الفرعية بدقة ، وكذا تحديد الوسائل المناسبة المعينة على تحقيق تلك الأهداف ، كما يتطلب تطوير فعل المراقبة الذي يسمح بتأكيد الخطة المتبعة أو تعديلها¹⁸

ضمن هذا الإطار يرى جولويلز أن تحديد الأهداف يكتسي أهمية بالغة في بناء المشاريع لأنه يسمح بتوضيح الدوافع الفردية ، توحيد وتركيز الجهود نحو تحقيق الأهداف ، تعزيز التعديل الذاتي للسلوك ، وتحسين الأداء الأمثل للشخصية¹⁹.

5-2- مرحلة التعرف والاستكشاف : تعتبر المعلومات جزء لا يتجزأ من الفعل التربوي، تربطها علاقة وظيفية بالتوجيه والاختيار الدراسي والمهني، حيث تسمح بالارتقاء بالتلميذ إلى مستوى الاختيار واتخاذ القرارات المناسبة فيما يخص مستقبله الدراسي والمهني وحتى الاجتماعي، ذلك أن "المعلومة لها وظيفة تربوية في تشكيل مواقف واتجاهات الإنسان وفي بناء شخصيته".²⁰

وعلى هذا الأساس ، يتوقف الاختيار الدراسي الصحيح على مدى ما يعرفه الفرد عن نفسه وعن محيطه المدرسي والمهني ، ذلك أن المعلومات ليست ضرورية لتوضيح موقف الاختيار وظروفه فحسب ، لكنها ذات أهمية قصوى في توسيع قاعدة البدائل وتقييم كل بديل.²¹

إن تعرف التلميذ على قدراته وميوله الحقيقية، وكذا نمط شخصيته ومميزاتها وحدود إمكانياته الجسمية والصحية يساعده على اكتشاف ذاته و تمكينه من التوفيق بينها وبين طموحاته ليستطيع اتخاذ القرار الملائم.

كما أن استكشاف محيطه الدراسي والمهني يسمح له بأن يكون قادرا على تحمل المسؤولية والتفكير بشكل إيجابي ، وتبني خطة منهجية لصنع قراره الدراسي وبناء مشروعه المستقبلي .

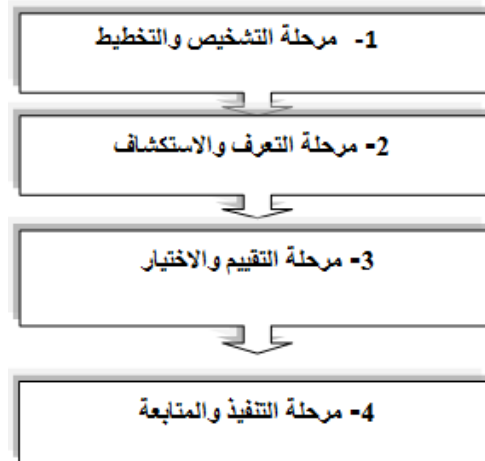
5-3- مرحلة التقييم والاختيار: إن عملية اتخاذ القرار هي أساسا عملية عقلية واعية تتطلب إعمال الفكر والمنطق ، إذ أن التفكير السليم يساعد الفرد على استعراض كافة البدائل المتاحة واختيار البديل المناسب من بينها وهو ما يتطلب تقويما مبكرا لتلك البدائل والنظر في إيجابيات وسلبيات كل منها ، ثم إجراء مقارنة بين النتائج المتوقعة لكل بديل من ناحية ، وبين الأهداف المطلوب تحقيقها من ناحية أخرى ، ثم استبعاد جميع البدائل والاستقرار على حل واحد فقط ²² . من هذا المنظور، فإن اختيار التلميذ لشعبته الدراسية أو تخصصه الجامعي ينبغي أساسا على تأمل كافة البدائل المتاحة في مجال الدراسة أو العمل ، وتقويمها موضوعيا في ضوء مجموعة من المعايير كالأهداف المستقبلية ، القيم الشخصية ، الميول والقدرات...

5-4- مرحلة التنفيذ والمتابعة : وتعتبر المرحلة الأخيرة ، وهي ثمرة عملية اتخاذ القرار ، حيث يتم تنفيذ القرار ومتابعته ومراقبة نتائجه ، إذ لا جدوى من القرارات مهما كانت قيمتها إذا لم يتم تنفيذها ، وهو ما يتطلب من متخذ القرار التحرر من كافة الصراعات الداخلية والضغوط الخارجية وتنفيذ القرار بكل ثقة واستقلالية .

والجدير بالذكر أن العلاقة بين المراحل المذكورة آنفا دائرية ومتفاعلة ، إذ يمكن لخطوة معينة أن تعاود الظهور في مرحلة لاحقة أو سابقة ، فتحديد الأهداف مثلا يتطلب نوعا من التقييم ، وتقييم البدائل قد يحتاج إلى مزيد من البحث وجمع المعلومات ... وهكذا ، وعلى هذا الأساس يمكن توضيح سيرورة اتخاذ القرار الدراسي من خلال النموذج الآتي :

شكل رقم (02)

يوضح نموذج تخطيطي لسيرورة اتخاذ القرار الدراسي



واعتمادا على المخطط السابق يمكن القول أن الخطوة الأولى للاختيار الدراسي تبدأ عندما يدرك الطالب أنه بحاجة إلى اتخاذ القرار ويستعد للتفكير في الموضوع بشكل عقلائي محددا القرار الذي يريد اتخاذه مثل:

- ما هي الشعبة التي يرغب فيها ؟
- هل يريد مواصلة الدراسة في الجامعة أم الالتحاق بالعمل؟
- ما الذي يريد فعله بعد التخرج من الجامعة ؟

بعدها يقوم الطالب بجمع المعلومات الدقيقة و المناسبة فيما يتصل بالشعب الدراسية المتاحة والآفاق المستقبلية التي تفتحها ، بالإضافة إلى التعرف على الذات و تقييمها من حيث : القدرات، الميول والاهتمامات ، الخصائص الشخصية ، الإمكانيات الجسمية والصحية ...

بعد ذلك يقوم الفرد بالعمل على دمج البدائل والمطابقة بين الشعب المختلفة و متطلباتها وحاجاتها وبين الأهداف الشخصية والميول والقدرات ... الأمر الذي يسمح بزيادة التلاؤم بين الفرص المتاحة مع الحاجات والرغبات ويكون ذلك بموازنة الإشباع الشخصية التي تحققها كل شعبة دراسية ، وتوقع الصعوبات المستقبلية التي تتطوي عليها، ومن ثم اختيار أنسب التخصصات المفتوحة واستبعاد غيرها.

وأخيرا يقوم الطالب بتنفيذ قراره من خلال التصريح بالرغبة في الشعبة التي وقع عليها اختياره ضمن المرتبة الأولى في بطاقة الرغبات بكل ثقة واستقلالية ، بعد التحرر من كافة الضغوط والصراعات الداخلية ، وبعيدا عن تأثيرات المحيطين به من أولياء ، أساتذة أو زملاء مع التأكد من سلامة القرار المتخذ من الأخطاء.

ويتضح جليا مما سبق أن اتخاذ التلميذ القرار المناسب بشأن المستقبل الدراسي والمهني ينبغي أن يخضع للتحليل المنطقي و التفكير الجاد بناء على معلومات دقيقة وشاملة حول الذات وحول المحيط الدراسي والمهني ، كما ينبغي أن يتم وفق خطة زمنية واضحة وفي ضوء أهداف دراسية ومهنية قابلة للإنجاز و التحقيق.

6- واقع سيرورة اتخاذ القرار الدراسي لدى التلميذ الجزائري: بالرجوع إلى المعطيات والملاحظات الميدانية المستقاة من واقع التوجيه المدرسي بالجزائر يمكننا الوقوف على مدى اندفاع التلاميذ ورغبتهم في التوجه إلى تخصصات دراسية دون إمعان النظر في مدى ملائمتها لهم ومدى توافقها مع تصوراتهم الخاصة ، ودون دراسة كافية للبدائل الدراسية الممكنة وما تفتحها من آفاق مستقبلية ، حيث تؤكد العديد من الدراسات المحلية - منها دراسة بوسنة وترزولت (1995)²³ حول قياس مستوى النضج المهني لمتربصي التكوين المهني ودراسة ترزولت (1997)²⁴ حول مشاريع التكوين المهني المتبعة من طرف المتربصين ، وكذا دراسة مشري (2002)²⁵ حول علاقة اختيارات التلاميذ الدراسية بميولهم المهنية - أن قرارات التلاميذ الدراسية يغلب عليها الطابع الآني وسيطرة المحاولة والخطأ دون أن يسبقها تخطيط محكم أو تفكير متأمل في دوافع القرار المتخذ أو تقييم موضوعي للبدائل المتاحة وهو ما يتجسد في غياب مشاريع دراسية أو مهنية تحكم عملية الاختيار، و يتجلى ذلك في :

* وجود العديد من العوامل الداخلية والخارجية التي تمارس ضغطها على الأفراد وتحد من قدرتهم على اتخاذ قرارات واقعية مستقلة .

* وجود صعوبات حقيقية تحول دون قدرة بعض التلاميذ على اتخاذ قرار دراسي متأن ومدرس .

في كلتا الحالتين يضطر التلميذ إلى اتخاذ قراره الدراسي بشكل آني ومتسرع ، حيث يقفز إلى النتائج دون النظر في المقدمات ، وهو ما يتفق مع نتائج دراسة المعشني (2001) التي أجراها في سلطنة عمان والتي أظهرت قصورا في مهارات اتخاذ القرار وحل المشكلات بين الطلبة على اختلاف مراحل دراستهم وجنسهم وغياب خدمات التوجيه والإرشاد التربوي والنفسي والمهني بين طلبة التعليم العام والأساسي في سلطنة عمان، كما يتفق مع نتائج دراسة النجار (2004) التي أجراها على طلاب الصف العاشر بمدينة خان يونس، والتي أسفرت عن وجود مشكلات شائعة تتعلق بالاختيار المهني لدى عينة الدراسة²⁶ أما محليا فقد توصلت مشري (2013) إلى أن مستوى الضغط النفسي الناجم عن الاختيار الدراسي لدى الطلبة الحائزين على شهادة البكالوريا يعتبر مرتفعا ، وأن نسبة 65.75 % منهم لديهم مستوى مرتفع من ذلك الضغط²⁷.

وتتعدد العوامل التي تحول دون قدرة بعض التلاميذ على اختيار شعبتهم الدراسية منها على سبيل المثال الشخصية المترددة في جميع أمورها وقراراتها بما في ذلك قرار الالتحاق بشعبة دراسية معينة ، ويتكون التردد العام

لدى التلميذ نتيجة بعض الأساليب التربوية الخاطئة كالقسوة المفرطة أو الحماية الزائدة ، حيث يقرر الآباء نيابة عن أبنائهم ولا يتيحون لهم فرصة للتعبير عن شخصياتهم واختيار ما يناسبهم ، فيعجز الأبناء عن مواجهة التحديات واتخاذ القرارات بفعل وجود بعض العوامل النفسية كالخوف والرهاب ، وضعف الثقة بالنفس ، ذلك أن " صحة الفرد النفسية إلى جانب نضجه العقلي تعتبر أحد المحددات الهامة لقدرة الفرد على اتخاذ قرارات معقولة وقدرته على المخاطرة وتحمل مسؤولية قراراته"²⁸.

كما قد ينشأ التردد في اتخاذ القرار من نقص المعلومات أو عدم دقتها أو تضاربها في بعض الأحيان ، فجهل التلميذ بقدراته وميوله الحقيقية ، أو جهله بعالم المهن والتخصصات الدراسية المختلفة يؤدي إلى تشتت ذهنه وتفكيره حول ما يريد تحقيقه بالضبط وأي المسارات أفضل بالنسبة إليه ، فيتخبط في اختياراته ويندفع إلى أول فكرة أو رأي يعرض عليه ، ثم لا يلبث أن يتراجع عند أبسط صعوبة يواجهها ، أو عند اكتشافه لحقائق كان يجهلها .

يضاف إلى ذلك محدودية خبرات المراهق وعدم استعداده للقيام بعملية الاختيار التي ترتبط عادة بقصور واضح في مهارات و إجراءات عملية اتخاذ القرار، إذ يجد بعض المراهقين صعوبة في عملية اتخاذ القرار بمختلف مراحلها بدءا بصعوبة تحديد مختلف أبعاد مشكلة الاختيار الدراسي و عدم القدرة على تحديد أهدافهم الشخصية على الصعيد المهني والدراسي بوضوح وهو ما يتفق مع نتائج دراسة ثيودوري على طلبة البكالوريوس اللبنانيين التي أشارت إلى أن أفراد العينة غير ناضجين مهنيًا ، فعندما طلب منهم تحديد ثلاث دوافع وترتيبها حسب أهميتها بالنسبة إليهم ، احتل الميل الشخصي المرتبة الأولى بنسبة 65.23 %، كما استنتج أن ما يزيد على ثلثي التلاميذ (69.28 %) قد حددوا اختيارات مهنية غير متناسقة ، بل متباعدة فيما بينها مما يعني أن التلميذ لا يدرك تماما - حسب رأيه - حقيقة ميوله المهنية ولا يعي بشكل كاف قدراته العلمية واستعداداته ، مما يدفعه في معظم الأحيان أن يكون عن نفسه مثالية لا تتطابق مع واقعه ويطمح إلى بلوغ ما يتمناه أكثر مما يطمح إلى بلوغ ما هو مؤهل له²⁹.

من هذا المنظور يتبين أن تشخيص مشكلة الاختيار وتحديد مختلف أبعادها وصولا إلى وضع أهداف واقعية و رسم خطة دراسية ومهنية واضحة ليس بالعملية البسيطة ، ولكنه عملية معرفية مركبة تحتاج إلى الكثير من الجهد وتتطلب التفكير وفق مستويات عقلية عليا وهو أمر بالغ الصعوبة بالنسبة للبعض لأنه يتعلق بالمستقبل من جهة ، ولوجود العديد من العوامل المتشابكة التي تتحكم فيه من جهة أخرى .

كما يواجه التلاميذ صعوبات تتعلق بالتعرف على أنفسهم من حيث القدرات والميول ... واستكشاف محيطهم الدراسي والمهني ، و يتفق ذلك مع معظم التقارير والدراسات على مستوى الجزائر التي تؤكد النقص الواضح في خدمات الإعلام المدرسي رغم الأهمية التي يكتسبها في مساعدة التلميذ على اختيار ملائم ومدرّس ، حيث أشار الملنقى الوطني لمديري مراكز التوجيه أن عملية الإعلام كما هي سارية حاليا غير مستمرة ، حيث تجري على مستوى مراحل معينة وفي فترات محددة كما أنها تركز أساسا على إجراءات القبول والتوجيه وتقديم شروط الالتحاق بالتكوينات والدراسات المتوفرة³⁰.

كما تجمع أغلب الدراسات التي أجريت حول واقع التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني بالمؤسسات التربوية الجزائرية منها دراسة لوكيا وفنطازي (2009)³¹ ودراسة قرساس وشحام (2009)³² أن مستشار التوجيه يعتمد أكثر على خدمات الإرشاد الجماعي بعيدا عن خدمات الإرشاد الفردي ، لأسباب عديدة منها كثرة أعداد التلاميذ، وتعدد مهام المستشار وضعف تكوينه وأن تلك الخدمات لا تزال تقدم بطرق تقليدية تفتقر إلى معلومات ثرية ومتجددة ، كما أنها تعتمد على أساليب غير موضوعية للكشف عن قدرات التلاميذ وميولاتهم.

ومن الصعوبات التي يواجهها التلاميذ أيضا ما يتعلق بتقييم البدائل الدراسية والمهنية المتاحة والاختيار من بينها حيث تعتبر هذه المرحلة جوهر عملية اتخاذ القرار، وفيها يتم تقييم إيجابيات وسلبيات كل بديل (شعبة دراسية) ومن ثم

الموازنة بينها وترجيح أفضلها، كما يتم توقع الصعوبات التي يمكن مصادفتها في حال اختيار كل منها ، وهو الأمر الذي قد يشكل صعوبة بالنسبة لبعض المراهقين الذين لا يستطيعون التوفيق بين دوافعهم الداخلية وضغوط البيئة الخارجية المتمثلة خاصة في تأثير الأقران وبعض العوامل المدرسية إلى جانب تأثير الأسرة التي تمارس ضغطها على الأبناء رغبة في التعويض أو إعادة الإنتاج الاجتماعي ، ونتيجة لذلك كله يعيش بعض المراهقين صراعا نفسيا حقيقيا بين رغباته الشخصية و إرغامات البيئة الخارجية بجميع مكوناتها ، وقد ينتهي حل الصراع بالاستسلام للضغوط الخارجية خاصة أمام محدودية خبراتهم ونقص معرفتهم بمحيطهم المهني وجهلهم بإمكانياتهم وقدراتهم الحقيقية.

إن الصعوبات التي يواجهها التلاميذ عند اتخاذ قرارهم الدراسي بمراحله المختلفة يؤكد مرة أخرى أن هؤلاء التلاميذ لا يزالون بحاجة إلى المزيد من الخدمات التوجيهية والإرشادية لمساعدتهم على تجاوز موقف الاختيار وتمكينهم من اتخاذ القرار الدراسي الملائم، مع الأخذ بعين الاعتبار الاحتياجات الفردية والخاصة لكل منهم ، لأن مشكلات التلاميذ أثناء اتخاذهم قراراتهم الدراسية وبناء مشاريعهم المستقبلية لا تشكل مجموعة متجانسة ، بل تختلف من تلميذ إلى آخر، وهو ما يقتضي إعادة النظر في نشاطات و ممارسات التوجيه الموجودة حاليا، و التي تعتمد في معظمها على الخدمات الجماعية وعلى أساليب تقليدية تنفرد إلى الحداثة والتنوع كما أشرنا سابقا

خاتمة :

تبين لنا من خلال استعراض مختلف الجوانب النظرية والوقائع الميدانية المتعلقة بضرورة اتخاذ القرار الدراسي أنه عملية عقلية مركبة تتضمن التفكير على مستويات عليا ، وتسير وفق خطوات منطقية واعية ، كما تتطلب جهدا معرفيا وسلوكيا يبذله التلميذ ليتمكن في الأخير من اتخاذ قرار موضوعي، واقعي ومستقل ، لذلك لابد من مرافقة التلميذ المقبل على التوجيه نفسيا وتربويا، و تهيئة جميع الظروف والوسائل الضرورية التي تسمح له بالنمو والتطور دراسيا ومهنيا إذ تؤكد ترزولت (2008)³³ أنه يصعب الحديث عن المشاريع عند التلاميذ في غياب مساعدة بيداغوجية مختصة ومتكيفة .

يعزز هذا الطرح أهمية التدخل المبكر من طرف مختصي التوجيه لمساعدة التلاميذ على تطوير الميكانيزمات الذهنية و الاتجاهات النفسية التي تسمح له باتخاذ القرارات الدراسية والمهنية المناسبة باعتبار أن القدرة على اتخاذ القرار الدراسي أو المهني هي مهارة يمكن تعلمها عن طريق التدريب والممارسة ، وهو الأمر الذي يتطلب متابعة المسار الدراسي للتلميذ من خلال برامج تربية الاختيارات وتنمية الميول والاهتمامات ، كما يتطلب العناية بالإرشاد النفسي والإعلام المدرسي لمساعدة التلميذ على نمو معارفه وتطور اتجاهاته وهيكلته تصورات المهنة بالطريقة التي يصبح فيها قادرا على اتخاذ قرارات ملائمة .

في هذا الإطار ينبغي على القائمين على عملية التوجيه المدرسي و المهني العمل على تهيئة التلميذ نفسيا وفكريا لعملية الاختيار من خلال توسيع قاعدة البدائل المتاحة وتجنب النظرة الآتية الضيقة ، ذلك أن اتخاذ القرار الدراسي أو المهني لا يمكن أن تحكمه انطباعات زائفة أو أحكام متسرعة بل ينبغي أن يكون عملية معقنة رصينة ومنروية تتم عن دراسة واقتناع بعد التشبع بما يلزم من المعلومات ، كما ينبغي أن تكون نابعة من ذات الفرد دون ضغوط أو إملاءات ووفق مشروع مستقبلي يرسم أهدافا واقعية للتلميذ ويحفزه على تحقيقها بنجاح ويساعده على التغلب على جميع المصاعب التي تعترضه في سبيل ذلك .

الهوامش:

- ¹ عبد الجواد بكر: السياسات التعليمية و صنع القرار، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، ص 66.
- ² رافع النصير الزغول ، و عماد عبد الرحيم الزغول: علم النفس المعرفي، ط1، دار الشروق، الأردن، 2003، ص315.
- ³ سيف الدين يوسف عبدون: مقياس اتخاذ القرار (كراسة التعليمات) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص 8.
- ⁴ ماهر مفلح الزيادات ، و زيد سليمان العدوان : أثر استخدام طريقة العصف الذهني في تنمية مهارة اتخاذ القرار لدى طلبة الصف التاسع الأساسي في مبحث التربية الوطنية والمدنية في الأردن ، مجلة الجامعة الإسلامية - سلسلة الدراسات الإنسانية ، الأردن مج(17) ع(02) ، 2009، ص 470.
- ⁵ خالد سليمان المومني و محمد علي القضاة : فاعلية عملية اتخاذ القرار لدى مديرات رياض الأطفال في إقليم شمال الأردن ، مجلة علوم إنسانية ، ع(36)، 2008 ، ص 05 .
- ⁶ Albau : Problèmes humains de l'entreprise 3^{ème} édition; Borda;Paris; 1982; p 25
- ⁷ اسماعيلي يامنة: التوجيه المدرسي بين النظرية والتطبيق، مجلة جامعة قسنطينة للعلوم الإنسانية، الجزائر، ع(26) ، 2006، ص79
- ⁸ الغالي أحرشواو: المشروع الشخصي للتلميذ - مقارنة سيكولوجية ، ص 02.
- ⁹ Boutinet;J.P: Psychologie des conduits a projet, 4ème édition; Presses Universitaires de France;Paris; 2006 ; p 96
- ¹⁰ يوسف مصطفى القاضي وآخرون: الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي ، دار المريح ، السعودية ، 1981، ص.29
- ¹¹ يحي حجازي: صعوبات اتخاذ القرار المهني لدى المراهقين ، المركز الفلسطيني للإرشاد، القدس <http://www.2002.alqudsnet.com>
- ¹² وصل الله السواط: فاعلية برنامج إرشادي معرفي سلوكي في تحسين مستوى النضج المهني وتنمية مهارة اتخاذ القرار المهني لدى طلاب السنة الأولى ثانوي بمحافظة الطائف ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة أم القرى، 2008 ، ص111.
- ¹³ ابراهيم عبد الهادي المليجي: تنظيم المجتمع - مداخل نظرية وروية واقعية- المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، 2003، ص 199.
- ¹⁴ وصل الله السواط ، نفس المرجع السابق ، ص93 .
- ¹⁵ شربل ، مورييس (2007): الإدارة التربوية الحديثة ، ط1، دار الفكر العربي ، لبنان، ص74.
- ¹⁶ وصل الله السواط ، نفس المرجع السابق ، ص125.
- ¹⁷ أحمد أبو أسعد و لمياء الهواري : التوجيه التربوي والمهني ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ط2 ، الأردن، 2012، ص 80 .
- ¹⁸ Guichard, J. et, Huteau M, Psychologie de l'orientation. Paris : Dunod 2006
- ¹⁹ Arana. C. E. L'élaboration du projet de vie chez les jeunes adultes ; Thèse de Doctorat ; Université de Fribourg Suisse; 2006; p 42.
- ²⁰ عبد السلام خالد: الإعلام المدرسي <http://www.almualem.net>.
- ²¹ Cadet-B; Pscologie Cognitive . In Press Edition ; France;1998, p265 .
- ²² وصل الله السواط ، نفس المرجع السابق، ص83
- ²³ بوسنة محمود: التوجيه المدرسي والمهني: الخلفية النظرية لمفهوم المشروع وبعض المعطيات الميدانية، مجلة العلوم الإنسانية، قسنطينة، ع (10)، 1998.
- ²⁴ ترزولت حورية: مشاريع التكوين المهني المتبعة من طرف المترشحين دراسة المؤشرات السيكولوجية وأهميتها في بناء وتحقيق هذه المشاريع، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الجزائر، 1997.
- ²⁵ مشري سلاف : علاقة اختبارات التلاميذ الدراسية بميولهم المهنية في ظل التوجيه المدرسي في الجزائر، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة ورقلة ، 2002.
- ²⁶ وصل الله السواط ، نفس المرجع السابق ، ص 04 .
- ²⁷ مشري سلاف : الاختيار الدراسي كمصدر للضغط النفسي وعلاقته بتشكيل هوية الأنا واستراتيجية التعلم المنظم ذاتيا في ظل التوجيه المدرسي في الجزائر، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة ورقلة ، 2013.
- ²⁸ رافع النصير الزغول ، و عماد عبد الرحيم الزغول: نفس المرجع السابق ، ص313
- ²⁹ أحمد أبو أسعد ولمياء الهواري ، نفس المرجع السابق ، ص 75.
- ³⁰ مديرية التقويم والتوجيه والاتصال مديرية التقويم والتوجيه والاتصال: الملحق الوطني لمديري مراكز التوجيه حول الإعلام والاتصال، الجزائر ، 1996، ص3.
- ³¹ فنتازي كريمة ولوكيا الهاشمي: خدمات الإرشاد في المرحلة الثانوية حسب آراء التلاميذ ومستشاري التوجيه، الملحق الدولي الأول حول الإرشاد النفسي- دوره وأهميته في تطوير المؤسسات التربوية - مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية ، جامعة ورقلة ، 2009، ص34.
- ³² فرسلس الحسين وشحام عبد الحميد :واقع الارشاد النفسي والتربوي في مؤسسات التعليم الثانوي من وجهة نظر الأساتذة ، مجلة دراسات نفسية وتربوية ، ع(02) مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية ، جامعة ورقلة ، 2009، ص 150.
- ³³ ترزولت حورية : أثر برامج تربية الاختيارات على الخصائص السيكولوجية الدالة على بناء المشاريع التكوينية الدراسية والمهنية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الجزائر، 2008.